الخاتمة

الشاعر في الموروث الأدبي ذاكرة الأمة وضمير المجتمع ، والنفس الذي تبدع الجمال لا بد أن تكون آية في الصحة والسواء ، غير أنه في الوقت ذاته بشر من طين يستمد أخيولاته من باطن يعتوره ما يعتور أي إنسان من العلل تنتاب نفسه كما تنتاب جسده ، وليس المرض النفسي حتى في صورته الإكلينيكية إلا اضطراب وظيفي ، قوامه الخوف والقلق والاكتئاب والوسوسة وشيء من الأفعال القسرية ، ونحو ذلك من الاضطرابات الانفعالية التي لا علاقة لها بعقله ، ولا تستدعي بالضرورة تدخلاً لعلاجه والحجر على تصرفاته ، كما أنها لا تحول دون تحمله مسئوليته ، وتبصره بعلله وأدوائه .

إننا جميعاً نقر بمرض شاعر نصفه بالخوف والقلق والاكتئاب والوسوسة والتوهم والسوداوية والهلوسة والانفصام والازدواجية والهوس والطفولة والتوجس والعدوانية ، ونحو ذلك من الصفات التي نطلقها في الاستعمال الأدبي ، والتي تختلف أسبابها وأعراضها تبعاً لفعاليات البيئة وأساليب التثقيف والتنشئة .

فالقول إذن إن شاعرا ما عصابي يعنى أن ثمة اختلالاً في بنيته النفسية لضغوط اجتماعية تعرض لها في طفولته ، ثم عززتها في الكبر مواقف احباطية أفقدته التوافق ، وسلبته التكيف والاتزان ، دون أن يكون لذلك علاقة بأعصابه فثمت شعراء يكابدون العصبية دون أن يكونوا عصابين ، ومن العصابين من تبدو عليهم أعراض عدة ليس من بينها العصبية .

إن خوف الشاعر من بيئة داخلية كانت أم خارجية هو حجر الزاوية في قلق لديه بدأ بسيطاً ، ثم تضخم فكاد يفضي إلى اكتئابه ، وهنا تصبح

شاعريته قناعاً لذاته ، وتفريعاً لباطنه ، وآلية دفاعية تحصنه ضد اكتئابه فتسقطه شعراً قبل أن يسقط هو ضحيته .

ومادمنا نقرر أن ((الأسلوب هو الشخصية)) وأن ((المعنى في باطن الشاعر)) فإنه بإضافة هذه إلى تلك يصح لنا أن نستنتج أن الشعر قطعة من نفس الشاعر ، وشريحة موثقة من تهويماته وأخيلته ، يكشف باطنه ويقرر حالته ، وينوب عنه حياً وميتاً ، دون حاجة إلى استنطاقه أو مخاطبته .

في ضوء هذا التصور تناولنا ديوان ناجي باعتباره حالة أسلوبية عصابية تفسرها كلمة واحدة هي المازوكية ولا تفسرها كلمة سواها وقد استقصينا آلياتها وتقنياتها الأسلوبية ، وطبقناها على سيرته فانطبقت ولم نزد شيئاً على سيرته وشعره إلا التحليل والتفسير ، وإذا كانت هذه الحالة هي التي تميز شاعريته فمعنى هذا أن الرومانسية وحدها لا تفسرها ، ولكنها تزيدها غطاء على غطاء ، وحتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذه المسألة عرضنا تحليلاً وموازنه نماذج رومانسية ألتبست بشعره فنحلت عليه ، أو بالأحرى تشابهت على جامعي شعره ودارسيه فنسبوها إليه . وقد لاحظنا أنها لا تمثل قوام ناجي الفني أو الوجداني ولا تمت بصلة إلى معجمه الشعري الذي ينطوي على شخصية مازوكية ، مزاج سوداوى طبع عصبي قريب الرجع ، واسع ساحة الشعور ، ينطوي على ((نهى طفل وإحساس صبي)) سريع الرد والاستجابة ، لا يلجم انفعاله كي يتأمل ويحلل ثم يفلسف ويستخرج العبرة من تجربته ، لكنه ويتعامل مع الأحياء بأعصاب عارية ، ويتلقى الحياة وابلاً من المنغصات ، يخشى الطبيعة فلا يتوجد بها أو يهرب إليها كما هو الشأن عند الرومانسين وإنما ينفر منها ولا يجد بينهما تعاطفا أو تشابهاً عاشق ضعيف يعاني الظمأ والمسبغة ، يعيش في ظلام الجوع العاطفي تابعاً لامرأة قاسية معذبة سامته سوء العذاب وجرعته الظمأ

القتال والشجن المردى ومع ذلك لا يألوها حباً ولا يرضى بها بديلاً ، ولكنه في الوقت ذاته يتمنى ((لو يستطيع الهجران والتعذيبا)) وأن يذيقها لباس الجوع والخوف كما أذاقته ، وتلك هي رغبته المكفوفة التي تحولت إلى عدوانية انطوى عليها باطنه حتى وإن راعى في مخاطبتها أدب اللياقة أوبدا طيعاً ضعيفاً لا يعرف إلا الشكوى والبكاء وضراعة الأطفال .

وقد استخدمنا القياس الإحصائي لاسلوبيات الشاعر وتقنياته ووحداته البنيوية ضاربين تحت جذورها نستدرج إلى منطقة الشعور كل ما هو لا شعوري للوقوف على أعراض تلك الحالة باعتبارها سمات وجدانية فارقة ، معتمدين على النص ذاته ومن خلال الديوان المشكل ، وبطريقة تتبعية طولية لاحظنا صدق هذه الحالة وثباتها واطرادها بآلياتها وحرفياتها على لغته وأسلوبه وتقنياته الفنية التي تنطوي على لذة الألم وخداع الذات ، التوحد ، التثبيت العاطفي ، القدرية وشلل الإرادة ، التوجس والاستعراضية السلبية ، التوثين والحبسة التعبيرية ونحو ذلك من المفرزات العصابية التي تطرد في تقنيات أسلوبية لتعبر عن شيء واحد هو تدمير الذات .

وتأسيساً على هذا لاحظنا مبالغة الشاعر في ادعاء الروحانية ونزوعه إلى الرمز الديني في تشبيهاته التشبيبية ، وقد فسرنا ذلك بأنه تمويه على حصر عاطفي وغلالة تضمر عكس ما يظهره من التعفف ، وتقيه مشاعر العجز ، وتزود الأنا بشيء من الخداع المؤقت حتى لا يختل توازنها وتتوغل إلى احباطات أشد عذاباً وأنكى ، وفي اجرائنا لآليات هذا الفرض لاحظنا أن لغته تنم عن عاطفة معتقلة لم تنل حظها من التنفيس وهذا ما سميناه (الحصر العاطفي) وقد استقصينا من لوازمه الأسلوبية عدة ظواهر تتمثل في الترقب الهائم ، الترديد ، توالي الأفعال ، حركية الانفعال ثم التشرد والاغتراب ، والسأم وخبل اليأس .

والشاعر كثيراً ما ينكص إلى طفولته الأولى ، وينزع إلى الرموز الطفلية في تشبيهاته التشبيبية ويتخذ من هذا النكوص آلية تموه على حصره العاطفي هذا وتزود الأنا بشيء من الخداع المؤقت هرباً من احباطات الحاضر وصراعاته ، وقد لا حظنا أن انتماءه العاطفي انتماء الطفل إلى أمه وتعلقه بالمرأة تعلق الأطفال بأمهاتهم ، وأن في داخله دائماً رجلاً طفلاً ، أو طفلاً كبيراً أو ذاتاً طفلية ، وأنه لم يتخلص من ركام الذاكرة ، ولم يصل إلى مرحلة التي نسميها (نساوة الطفولة) والتي تفقد فيها الذاكرة أخيلتها الطفولية، ففضلاً عن اتكاليته وازدواجيته ، وعصبيته البينة وتمركزه حول ذاته ، وسرعة تأذيه ، ولجاجته في البكاء والتشكي فيه أيضاً من مفرزات هذه الطفولة خجله وتلعثمه ، وحبسته التعبيرية وحصره الموضوعي ونحو ذلك من الحيل الطفولية التي تشده إلى طفولته الأولى هرباً من فشل عاطفي سبب له قلقاً مستمراً لذا يخيل إليه أن الأمن والطمأنينة في النكوص الزماني إلى هذه المرحلة ، ويظل يختلق الأعذار تبريراً لهذا الفشل ليوهم نفسه أنه منحوس سيء الحظ مشلول الإرادة لا خيرة له من أمره .

وبعد أن وقفنا على باطن الشاعر بابعاده العصبية واشكالاته العصابية لا حظنا أن ثنائياته تنفلت كالوخزة الفكرية بصورة قد تغمز هويته الدينية وتطعن رؤيته وبصيرته ولكنها تحشره في زمرة المرضى قبل أن تضعه على شفا جرف من الكفر غير أن هذه الثنائيات لا تنطوي بالضرورة على انفصام ذهاني لأن الفصامي متبلد العقل ، يعيش حالة لاواعية لشخصية متوهمة تنطوي على غرابة الأطوار ، وشذوذ التصرفات بينما الشاعر هنا يعاني من ((وقدة الإحساس)) ، متبصر بعلله ، يعرف ويعي ويدرك تماماً خطل سلوكه ، ولا يفتأ يؤنب نفسه ويراجعها ، ويتناقش ويتحاور ، ويبكت نفسه بضروب من اللوم والتأنيب التي يشقى بها السوداويون أنفسهم

ويعذبونها في غير رحمة ، كما أنه مع اعترافه أنه اتخذ إلهه هواه واستغرق في توثينه متبصر بخطل سلوكه هذا فيطلب العفو ولكن مع استغراقه في هذا التوثين المازوخي ، ذلك أن الأشياء تتصادم في باطنه لتفرز نقيضها ، وتظل تتماس وتتلاقح لتتمخض في النهاية عن تنفيس أو بوح أو ولادة جديدة تسير به من الألم إلى اللذة ومن السقم إلى البرء ، ومن اللظى إلى البرد والسلام . وهذه حالة من التنازع العصابى تنطوي على بصيرة فنية ، إذ أنها تبتكر علاقات بين الصفة والموصوف تأتي تارة من كسر الدلالة المعجمية وتارة من تراسل الحواس ، ويطرد كل هذا في تقنيات أسلوبية تستقطب علله وأحباطاته ، بل وتستقطب حاجاته واحباطاته ولجاجاته البيولوجية التي ظل من أجلها يطلب الحرية ثم لا يلبث أن ينكص علي عقبية ويلج في البكاء والتشكي إذا أعطي طلبته .

أهـم المصـادر والمراجع

١.ابراهيم (د. زكريا) مشكلة الفن ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٧٦.

٢.اسعد (د. يوسف ميخائيل) ، سيكلو جية الإلهام ، دار غريب للطباعة مصر ، ١٩٨٣.

٣.اوتو فينخل ، نظرية التحليل النفسي والعصاب ، تر/د صلاح مخيمر ، المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٤.جودت (صالح) ، ناجي حياته وشعره .

٥.حسين (طه) حديث الاربعاء ، جريدة الوادي ، العدد ١٩٣٤/٩/١٩.

٦. الدروبـــي (ســـامي) علـــم النفـــس والادب ، دار المعـــارف ، القاهرة،١٩٨١.

٧.الزحلاوي (حبيب) ، مجلة الرسالة ، العدد ١١٥ ، ١٩٣٥/٩/١٦ .

٨.زهران (حامد) ، الصحة النفسية والعلاج النفسي ط ٢ ، ١٩٧٨ .

٩. سويف (مصطفى) الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٠ .

١٠.سليمان (عصام محمد) ، العقد النفسية ، القاهرة ، ط : الفكرة ، بدون .

١١.طـــه (علـــي محمـــود) ، المجموعـــة الكاملـــة ، دار العـــودة ، بيروت ،١٩٧٢.

١٢.عفلق (ميشيل) ، مجلة الرسالة ، العدد : ١١٩ ، ١٩٣٥/٩/٢٦ .

١٣.العقاد (عباس محمود) جريدة الجهاد ، ١٩٣٤/٦/١٢ .

١٤.المصـري (ابراهيـم) مجلـة صـوت الجيـل ، دار العـــودة ، بـيروت ط٢،١٩٧٩ .

١٥.فـؤاد (نعمـات احمـد) ، نـــاجي الشـــاعر ، القـــاهرة ، رابطـــة الادب الحديث،١٩٥٤ .

١٦.فرويد (سيجموند) :

ـ ثلاث مقالات في نظرية الجنس ، تر / سامي محمـود ، المعـارف ، القاهرة ١٩٨٠ .

ـ محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، تـر/ أحمـد عـزت راجـح ، القاهرة الانجلو ، ١٩٥٢.

ـ مدخل في التحليل النفسي ، تر / جورج طرابيـش ، دار الطليعـة ، بيروت .

١٧.الفقي (علي محمد)، ناجي حياتـه وشـعره ، سلسـلة اعـلام العـرب ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

١٨.ناجي (ابراهيم) ديوانه :

ـ سيكلوجية الأديب ، مجلة الرسالة ، العدد ٣٢٠، ١٩٣٧ .

ـ قصائد مجهولة ، جمعها حسن توفيق ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٨ .

ـ كتب أثرت في حياتي جريده الجمهور المصري ، ١٩٥٣/١٢/١٦ .

ـ معنى الشعر ، مجلة الفن ، العدد ١٩٤٩،٥١ .

ـ مجلة الرسالة العدد ١١٥، ١٩٣٥/٩/١٦ .

ـ مجلة الرسالة العدد ١١٦ ، ١٩٣٥/٩/٢٣ .

ـ مجلة السيدات والرجال ، العدد ٦ ، السنة ٦ ، ابريل ١٩٢٢ .